# العدول في ترتيب الجملة العربية وبعده الدلالي في النص القرآني

م.د باقر فليح عبد الحسن

## ملخص البحث

من المعلوم أنَّ القرآن الكريم قد نزل بلسان العرب وأساليبهم في التخاطب، فكان فيه ما في العربية من الظواهر اللغوية التي بلغ بها نهاية البلاغة ومرتبة الإعجاز، وقد نفى القرآن أن يكون فيه لسانٌ غير عربي، قال تعالى: {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ} (النحل / ١٠٣)، وقال تعالى: {وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ} (فصلت / ٤٤)، ومع أنّ القرآن جاء على المألوف من لغة العرب من حيث الحروف والمفردات والجمل وقوانينها التركيبية العامة، وكان عربياً جارياً على أساليب العرب وبلاغتهم، فإنّه قد أعجزهم بأسلوبه المتميز ونظمه البياني ونهجه في خطاب العقل والعاطفة وتأثيره في الخاصَّة والعامَّة، وذلك سرُّ إعجازه البياني وتأثيره الروحي، لذلك اتخذت الدراسات اللغوية الحديثة التركيب القرآني منطلقاً لها في دراسة النص القرآني، وذلك للكشف عن العلاقات التركيبية بغية استثمار امكانيات اللغة في تحقيق التواصل اللغوي الأمثل، ومن ثَمَّ الوقوف على القيمة التعبيرية للنص القرآني. وقد شغلت ظاهرة (العدول) في ترتيب الجملة القرآنية أصحاب الدراسات اللغوية الحديثة، فأعطوها بعداً جمالياً ودلالياً، ووقفوا عندها طويلاً، فوجدوها كثيراً ما تتقاطع مع ما وضعه النحاة من قواعد ومقاييس. وقد انضوت تحت هذا العدول دلالات اعجازية وأسرار بيانية ولمحات فنية جمالية كثيرة، حاول البحث مقاربتها وتلمس اعجازها، وتكمن مشكلة البحث في وجود دقائق نفيسة ولطائف بليغة لأسلوب العدول في الترتيب في الجملة القرآنية ويتنوّع هذا الأسلوب وتتغير دلالته تبعاً لتغيّر السياق وحاجة المقام، فما كان لكلمة أن تتقدم من مكانها دون غاية معنوية وهدف دلالي تريد أن تبثّه في الجملة، والقرآن الكريم كلام الله المعجز وبيانه المحكم يشتمل على هذه الأساليب التي ينبغي الوقوف على أسرارها ودلائلها وهذا ما يهدف البحث إليه، لذا حوت أوراقه تحليلاً لبعض آيات القرآن الكريم بغية الكشف عن مواطن إعجازها اللغوي، وتبعاً لذلك فقد اشتمل البحث على مقدمة وتمهيد ومباحث ثلاثة ثم خاتمة حوت نتائج كشف عنها البحث.



**الكلمات المفتاحية للبحث: العدول، ترتيب، الجملة العربية، بعده الدلالي، النص القرآني.**

## المقدمة

الحمدُ للهِ الأوَّلِ بلا أول كانَ قبلَه ، والآخر بلا آخر يكونُ بعده .. والصلاةُ والسلامُ على رسوله المختار، وآله الطيبين الأطهار، أمَّا بعدُ:

فقد نال مصطلح (العدول) بوصفه تقنية أسلوبية حضوراً بارزاً في الدرس اللغوي العربي القديم، فقد تنبَّه العلماء العرب القدماء إلى سمة بارزة من سمات التركيب اللغوي العربي؛ هي سمة التناوب بين الأساليب والانتقال المفاجئ من أسلوب إلى آخر، ومن صيغة إلى أخرى، فأطلقوا على هذه الظاهرة مصطلحات عدة منها: المجاز، والانتقال، والانحراف، والرجوع، والالتفات، والعدول، ومخالفة مقتضى الظاهر، وشجاعة العربية، والحمل على المعنى [١] .

والحق أن هذه المصطلحات تحيل في مجملها إلى معنى الخروج عن الأصل وتركه إلى ما ليس بأصل، وفي ذلك قال الدكتور تمام حسان: ((الأسلوب العدولي خروج عن أصل أو مخالفة لقاعدة)) [٢]. والأسئلة التي تتبادر إلى الذهن في هذا المقام هي:

ما الأصل اللغوي أو القاعدة اللغوية التي يتم الخروج عنها؟ وما هي المعايير التي نلجأ إليها لمعرفة خروج النص اللغوي وعدوله عن الأصل؟ وإذا كان هذا العدول يمثل مستوى فنياً ابداعياً في التشكيل اللغوي، فهل أنَّ عدم العدول أو تركه يجعله يفتقر إلى اللمسة الفنية الابداعية؟ والسؤال الأهم من ذلك كله: هل يمثل العدول في النص القرآني خروجاً على أساليب اللغة العربية وهو اللسان العربي المبين؟

ويرى البحث أنَّ اعتماد السياق في مقاربة الظاهرة العدولية في أي نص لا سيما النص القرآني؛ يضفي على هذه المقاربة صفة العلمية والموضوعية، مما يجعل ما ينتج عنها من أحكام يتصف بالدقة، لأنَّ القاعدة المعدول عنها حاضرة، والنمط العدولي المتجاوِز حاضر أيضاً، فلا يتبقى أمام الباحث والحال هذه سوى أن يُعْمِلَ ذهنه ويشحذ طاقاته في البحث عن القيم الدلالية والايحائية لهذا العدول، وسيتضح –بإذن الله تعالى–ذلك في صفحات البحث. وقد اشتمل البحث على مقدمة وتمهيد ومباحث ثلاثة ثم خاتمة حوت نتائج كشف عنها البحث.

## المبحث الأول: مفهوم العدول

### العدول لغة:

وردت لفظة (عدل) في معجمات اللغة مشيرة لدلالات عدة منها:

- النظير: ((عِدْلُ الشيء: نظيره، هو عِدْلُ فلانٍ))[٣].
- الميل: ((أن تعدل الشيء عن وجهه فتميله...وعدلت الشيء أقمته حتى اعتدل...وعدلت الدالة إلى كذا: أي: عطفتها فانعدلت))[٤].
- الاستواء والاعوجاج: ذكر ابن فارس (ت٣٩٥هـ) أنَّ ((عدل: العين والدال واللام أصلان صحيحان، لكنهما متقابلان كالمتضادين: أحدهما يدل على استواء، والآخر يدل على اعوجاج))[٥].

- العدل: ((العَدْل: ما قام في النفوس أنَّه مستقيم، وهو ضد الجور)) [٦].
- الاعتدال: (( توسط حال بين حالين في كَمٍّ وكيف))[٧].
- الرجوع: ((عَدَلَ عن الشيء يَعدِل عَدْلاً وعُدولاً: حاد، وعن الطريق جاد، وعدل إليه عدولاً: رجع. وعدل الطريقُ: مالَ ))[٨].

وبناء على ما سبق يمكن القول: إنَّ المعنى المعجمي للعدول يشير إلى دلالة الميل والانتقال من حالة إلى حالة أخرى، وهذا الميل ينتج عنه أثر فني جمالي، وعلى هذا فالعدول ظاهرة لها طرفان: معدول عنه، ومعدول إليه وهو المعنى الأقرب الذي اعتمد في اصطلاح العدول.

## العدول في الاصطلاح:

تعود جذور مصطلح (العدول) إلى كتب التراث اللغوي والنقدي والبلاغي المبكرة، وقد ورد هذا المصطلح تارة بلفظه، وبمشتقاته تارة أخرى؛ فقد ذكره ابن جني (ت٣٩٢هـ) مرتبطاً بمصطلح الاتساع في معرض حديثه عن الحقيقة والمجاز، إذ قال: ((إنَّما يقع المجاز ويعدل إليه عن الحقيقة لمعانٍ ثلاثة، وهي الاتساع، والتوكيد، والتشبيه، فإنَّ عدم هذه الأوصاف كانت الحقيقة البتة))[٩]، ويستعمل ابن جني مصطلح شجاعة العربية بمعنى أساليبها المتسمة بالجرأة والخروج عن القواعد اللغوية المثالية؛ فيقول: ((ومن المجاز كثير من باب الشجاعة في اللغة: من الحذوف والزيادات والتأخير والحمل على المعنى والتحريف))[١٠]، واستعمله أبو هلال العسكري (ت٤٠٠هـ) استعمالاً صريحاً بقوله: ((وعندنا أنَّ الرحيم مبالغة لعدوله، وأنَّ الرحمن أشدّ مبالغة، لأنَّه أشد عدولاً، إذا كان العدول على المبالغة، كلما كان أشدَّ عدولاً كان أشدَّ مبالغة))[١١]، وتناوله عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) في سياق قوله: ((عليك أن توفق بين معاني تلك الألفاظ المسجعة وبين معاني الفصول التي جعلت أردافاً لها، فلم تستطع ذلك إلا بعد أن عدلت عن أسلوب إلى أسلوب، أو دخلت في ضرب من المجاز، أو أخذت في نوع من الاتساع، وبعد أن تلطفت على الجملة ضرباً من التلطف))[١٢].

أمَّا عند المحدثين فقد عرَّفه الدكتور تمام حسان بأنَّه: ((خروج عن الأصل أو مخالفة القاعدة، ولكن هذا الخروج أو تلك المخالفة اكتسبا في الاستعمال الأسلوبي قدراً من الاطراد رقى بهما إلى مرتبة الأصول التي يقاس عليها ))[١٣]، فالعدول قد ارتقى عنده حتى بلغ مراتب الأصول وذلك بفضل الاستعمال والاطراد، وقد أضاف في هذا الشأن قائلاً: ((والعدول عن أصل القاعدة، العدول عن أصل الوضع، إما مطرد أو غير مطرد، فإذا لم يكن مطرداً فهو الذي يحفظ إذا كان فصيحاً ثمَّ لا يقاس عليه بسبب شذوذه))[١٤]، ويرى تودوروف بأنَّه : ((لحن مبرر، ما كان ليوجد لو أن اللغة الأدبية كانت تطبيقاً كلياً للأشكال النحوية الأولى))[١٥]، أي أنَّ اللغة يشترط فيها الخروج والخطأ عمَّا هو مألوف كيما تكون لغة أدبية، لكن ليس أي خطأ، بل يقتصر ذلك على الخطأ المبرر الذي لا يهدد كيان اللغة وأساليبها، أي أنَّ هذا الخطأ أو اللحن له مايبرره وله أسباب أدَّت بكاتب النص إلى أن ينحرف ويعدل عن تلك الوجوه النحوية واللغوية المعهودة لتحقيق غايات غالباً ما تكون بلاغية، والحق أنَّه ليس بلحن ولا يمكن أن يعدَّ خطأً؛ حتى وإن جمَّلنا هذا الخطأ ووصفناه بالمبرر؛ خاصَّة إذا كان ميدان ذلك العدول

النص القرآني المنزه عن اللحن والخطأ، وقد عَدَّه بعضهم مظهراً من المظاهر التي تسهم في جذب أذهان القراء ولفت انتباههم للنصوص إذ قال عنه: (( بأنَّه مجاوزة السنن المألوفة بين الناس في محاوراتهم وضروب معاملاتهم، لتحقيق سمة جمالية في القول تُمَتِّع القارئ وتُطرب السامع وبها يصير نصاً أدبياً))[١٦].

ويعد العدول (( تفنناً في الكلام وتصرفاً فيه، يكسب النص قيمة جمالية وينبِّه إلى أسرار بلاغية كثيرة))[١٧]، ويمثل العدول أيضاً ظاهرة أسلوبية؛ لأنَّه عدول عن المستوى العادي للغة، إلى المستوى الفني الجمالي، وفي هذا يقول الدكتور صلاح فضل: ((إنَّ أهم العناصر الخاصة بالقول الجمالي هو أنَّه يكسر نظام الإمكانات اللغوية الذي يهدف إلى نقل المعاني العادية، ويهدف هذا الكسر بالذات إلى زيادة عدد الدلالات الممكنة))[١٨].

ومهما يكن من أمر فإنَّ المفهوم العام للعدول هو الخروج عن السائد والمتعارف عليه، أو مخالفة أصل الوضع اللغوي، أو عن مقتضى الظاهر، وهو بذلك لا يخرج عن مصطلح مخالفة مقتضى الظاهر الذي عُرِفَ عند البلاغيين.، والذي يدور البحث حوله في المقام هذا هو تلمس العدول في التركيب القرآني لبعض آي القرآن الكريم، ومن ثمَّ الوقوف على دلالات هذا الخروج، ومعرفة ما إذا كانت هذه الظاهرة تمثل خروجاً للتركيب القرآني عن أساليب اللغة العربية أم أن هذا الخروج هو من صميم هذه الأساليب اللغوية العربية، فأينما وجد العدول في التركيب اللغوي وجد التركيب الفني الجمالي، فما العدول إلا البنية السطحية (الفنية) للغة، والقرآن الكريم بوصفه أسمى نص لغوي باللغة العربية وظف هذه البنية العدولية في مستواه التركيبي بأجمل نسق، وأجمل هيئة تعبيرية، لكن وعلى الرغم من ذلك لم يكن هدفه الجمال فقط، بل كان هدفه الوصول إلى أعلى درجات البيان، وقد اتسعت آلية العدول الرتبي في القرآن الكريم لتشمل :

- العدول الرتبي (التقديم والتأخير الرتبي اللفظي)
- العدول المعنوي (التقديم والتأخير الرتبي المعنوي)

ولأنَّ هدف ظاهرة العدول في القرآن الكريم هو اثبات تفرد النص القرآني أولاً، وتوليد تراكيب جمالية معبرة عن دلالات جديدة ثانياً، سنحاول الوقوف على كل لون من الألوان المذكورة آنفاً عبر السياقات الواردة فيها تلك الألوان.

## المبحث الثاني: العدول الرتبي اللفظي في القرآن الكريم

من المعلوم أنَّ الكلام يتألف من تراكيب تتكون من ألفاظ ليس من الممكن النطق بها دفعة واحدة، لذلك كان لابد عند النطق بالكلام من تقديم بعضه وتأخير بعضه الآخر، وهذا التقديم والتأخير لا يَرِد اعتباطاً في نظم الكلام وتأليفه، وإنَّما يكون عملاً مقصوداً يقتضيه غرض بلاغي.

إنَّ تقديم الألفاظ بعضها على بعض له أسباب عدة يقتضيها المقام وسياق القول، وقد تنبه سيبويه إلى تأثير العلاقة بين المتكلم والمخاطب على صورة التركيب، إذ تحدد هذه الصورة في ضوء تلك العلاقة، وتبعاً لغاية المتكلم وقصده، فقال في ذلك: ((...كأنَّهم إنَّما يقدمون الذي ببيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى))[١٩] ، ولم يغفل عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) عن تلك العلاقة والسياق الذي ترد فيه؛ فقد أشار إلى أهمية ترتيب أجزاء الكلام الذي ينبغي أن يؤخذ بنظر الاعتبار في عملية الاختيار البنائي للجملة، إذ قال: ((وإن أردت أن ترى ذلك عياناً فاعمد إلى أي كلام شئت وأزل أجزاءه عن مواضعها وضعها وضعاً يمتنع معه دخول شيء في معاني النحو فيها فقل في: قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل ، (من نبك قفا حبيب ذكرى منزل) ثمَّ انظر هل يتعلق منك فكر بمعنى كلمة منها))[٢٠]، ذلك لأنَّ المعنى يتولد فقط من ترتيب الألفاظ والعبارات[٢١] ، ومن أمثلة العدول الرتبي في القرآن الكريم:

قوله تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ } (البقرة / ٦) قدم خبر المبتدأ المرفوع وهو (سَوَآءٌ) على (ءَأَنذَرۡتَهُمۡ)، المؤلفة من همزة التسوية والفعل والفاعل والمفعول به لمصدر منسبك من الهمزة والفعل في محل رفع مبتدأ مؤخر، والمعنى: إنذارهم وعدمه سواء[٢٢]، والأصل أن يتقدم المبتدأ على الخبر، قال ابن مالك:

((الأصل في الأخبار أن تؤخرا وجوزوا التقديم إذ لا ضررا))[٢٣]. وذهب الكوفيون إلى منع تقديم الخبر على المبتدأ[٢٤] ، وهذه الآية دليل على أنَّ تقديم الخبر على المبتدأ جائز[٢٥] ، ومسوغ هذا التقديم هو كون المبتدأ فيه ضمير يعود على شيء في الخبر.

ومنه قوله تعالى: {بَلَىٰۚ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ}(البقرة / ١١٢)، فإننا لو قدمنا المبتدأ؛ فقلنا: أجره له، لعاد الضمير على صاحب الأجر وهو الله تعالى وليس على المأجور وهو العبد، المؤخر لفظاً ورتبة وذلك لا يجوز[٢٦]، وهذه الحالة يكون التقديم فيها واجباً، لأنَّ الجار والمجرور متعلقان بمحذوف هو الخبر، وقد اشتمل المبتدأ على ضمير يعود على شيء في الخبر، وعلة ذلك لئلا يعود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة وهو غير جائز[٢٧]، واضح أنَّ هذا الترتيب بنوعيه الجائز والواجب قد وقع لغرض شكلي أوجبته القواعد التركيبية للغة العربية تلك اللغة التي نزل بها القرآن الكريم. إنَّ تقديم ما حقه التأخير، وتأخير ما حقه التقديم لمناسبة تقتضي ذلك، جائز في اللغة العربية وهو من أبرز ظواهرها اللغوية في توليد المعاني الجديدة، فما من مقدم أو مؤخر يعدل به عن موضوعه إلا وترك ظِلالاً معنوية جديدة، وقد رفض عبد القاهر الجرجاني أن يكون شيء من هذا العدول غيرَ مفيدٍ فقال: ((واعلم أنَّ من الخطأ أن يقسم الأمر في تقديم الشيء وتأخيره قسمين، فيجعل مفيداً في بعض الكلام وغير مفيد في بعض، وأن يعلل تارة بالعناية وأخرى بأنَّه توسعة على الشاعر والكاتب، حتى تطرد لهذا قوافيه ولذلك سجعه، ذلك لأن من البعيد أن يكون في جملة النظم ما يدل تارة ولا يدل تارة أخرى))[٢٨]، إنَّ المعاني التي تتولد أسبق في الذهن من غيرها – التي يلزم تقديمها اللفظي على غيرها بحسب تقديمها الرتبي المعنوي – كثيرة ومتعددة وفقاً لتعدد أسبابها الموجبة لها النابعة من أبعادها ومواقعها في النفس، ولا يعدل بها عن مواقعها ومراتبها التي استحقتها، إلا إذا اقتضت ذلك التجربة

الشعورية لأسباب في الغالب نفسية وهذا هو الضرب الثاني من ضروب العدول في التقديم والتأخير الذي قوامه تقديم ما حقه التأخير، وتأخير ما حقه التقديم[٢٩].

إنَّ العدول في ترتيب الجملة القرآنية كان ولا يزال وراء الكثير من بلاغة الأسلوب القرآني وحيويته، فهو طاقة أسلوبية ذات معين لا ينضب، وفيه تتجلى عظمة الخالق سبحانه وتعالى وقدرته في صياغة التعبير في القرآن الكريم، فهو يزيد في إيضاح المعنى، ويسهم في تحسين الكلام، ويكشف أبعاداً جمالية وفنية عميقة الأمر الذي منح القرآن تفرداً وجعله نوعاً أدبياً قائماً بذاته.

إنَّ الناظر في السياق القرآني يجده يحمل كثيراً من الخصائص التركيبية التي تسمو على لغة البشر قوةً وصفاءً ونقاءً، ومن خصائص هذا السياق؛ التقديم والتأخير الذي يعدُّ واحداً من الأساليب التي برزت بشكل معجز في القرآن الكريم، فقد يتقدم المفعول على فعله أو يتقدم الجار والمجرور أو الظرف أو الحال لأجل الاختصاص، ففي قوله تعالى: {سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُواْ يَظْلِمُونَ}(الأعراف/١٧٧)، قدم المفعول به (أَنفُسَهُمْ) على فعله (يَظْلِمُونَ)، فلو جاء السياق مثلاً: (كانوا يظلمون أنفسهم) لما تحقق التخصيص أي تخصيص الظلم لأنفسهم دون غيرهم، المعنى على: وخصوا أنفسهم بالظلم لم يتعدها إلى غيرها[٣٠]، وهذا إبراز للنفس الظالمة وتخيل أثر الظلم عليها.

وفي قوله تعالى: {وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ } (المدثر/٣-٥)، نجد أنَّ المفعول به (ربك، ثيابك، الرجز) قد قُدِّمَ على فعله (كَبِّر، طَهِّر، اهجر) على التوالي، فدَلَّ ذلك على التخصيص، وقد أشار إلى ذلك بعض المفسرين بقوله: ((قم فكبّر ربك، وكذلك ما بعده، وفائدة تقديم المفعول عنها للتخصيص، لأنَّك إذا قلت: وكبر ربك لم يدل ذلك على أنَّه لا يجوز تكبير غير الرب، وإذا قلت: ربك فكبر، دَلَّ على أنَّه لا يجوز تكبير غيره))[٣١]، ففي قوله تعالى: {أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ}(التوبة/٦٣)، لقد حمل العلماء الآية الكريمة على من يحادد الله ورسوله، فكان الزجر والوعيد الناشئ عن الاستفهام في صدر الآية الكريمة، وتوكيد الخبر بأن واسمية الجملة، ذلك لأنَّ المنافقين على الرغم من علمهم بهذه الحقيقة نُزِّلوا منزلة من يجهلها وينكرها لعدم جريهم في الاعتقاد والسلوك على وفق ما يقتضيه علمهم، وقد قدم الخبر (له) الذي حقه التأخير عن اسم (إنَّ): (نار جهنم) لإفادة القصر، أي: له لا لغيره، والإفراد في الخبر (له)، وفي (خالداً) يراد به العموم[٣٢].

ومنه قوله تعالى:{قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ } (إبراهيم/١١-١٢)؛ ففي تقديم الجار والمجرور (عَلَى ٱللَّهِ) في الآيتين الكريمتين دلالة القصر والتخصيص، فتقدير الكلام هو: التوكل والاعتماد لا يكون إلا على الله لا على غيره، وجاء لفظ (ٱلْمُؤْمِنُونَ) في الآية الأولى لأنَّه أمر من رسلهم للمؤمنين الذين آمنوا بالتوكل على الله وحده، وهذا من علامات الإيمان الصادق، أما لفظ (ٱلْمُتَوَكِّلُونَ) في الآية الثانية فقد جاء ليكون معناه: فليثبت المتوكلون على ما استحدثوا من توكلهم وقصدهم إلى أنفسهم على ما تقدم[٣٣]. ومنه تقديم الحال على عامله، ففي قوله

تعالى:{خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ}(القمر/٧)؛ قدَّم الحال (خُشَّعًا)، على عامله (يَخْرُجُونَ) ودَلَّ ذلك على الشعور بالذلة والانكسار، فخُشَّعاً حال من الواو وخاشعة أبصارهم ((ذليلة خاضعة عند رؤية العذاب، وإنَّما وصف الأبصار بالخشوع لأنَّ ذلة الذليل، أو عزة العزيز تتبين في نظره وتظهر في عينه))[٣٤]، فخشوع الأبصار كناية عن ((الذلة والانخذال، لأنَّ ذلة الذليل وعزة العزيز تظهران في عيونهما))[٣٥]، وهذه الدلالة تنضوي تحت دلالة شعورهم بالذلة والخذلان التي بدت واضحة عبر تقديم حالهم على فعلهم ولو كان الحال مؤخراً في الآيتين الكريمتين لعدمنا ذلك التصوير الفني لهيئة الأبصار، ومناسبة خشوع الأبصار للذلة التي تظهر في العيون أكثر منها في بقية الجوارح[٣٦].

وخلاصة القول: إنَّ أي تغيير في النظام التركيبي للجملة يترتب عليه بالضرورة تغيير في الدلالة فاختيار المتكلم لترتيب دون آخر بلحاظ الظروف والمقاصد التي يريدها، ينتج عنه كون العدول في الترتيب الجملي من نتائج الاختيار النحوي، هذا الاختيار تحكمه قوانين اللغة وتحدد أبعاده، فالمتكلم يختار أبنية لغوية تخضع لقواعد نحوية تركيبية اجبارية في صياغتها لا مفر منها، واللغة كذلك تمنح خيارات محددة لهذا الترتيب، لكنها في بعض الأحيان لا تمنح المتكلم خيارات كثيرة بل قد تمنحه خياراً واحداً في بعض الأحيان في صياغة الجملة. وبهذا يكون العدول الرتبي أو التقديم والتأخير الرتبي اللفظي نمطاً من أنماط اللغة الدالة، وهو وجه من أوجه الاختيار التي تؤدَّى بها المعاني، لكنَّ قدرة تكوين التراتيب اللغوية المناسبة تظل حكراً على الذين يدركون كيفية استعمال اللغة، وقد رأينا تلك القدرة واضحة بشكل معجز في العدول الرتبي في القرآن الكريم.

## المبحث الثالث: العدول الرتبي المعنوي في القرآن الكريم

يقصد بهذا اللون أن الكلمة الموظفة في سياق النص القرآني إذا قُدّمت فإنَّما يكون ذلك لغرض مقصود ومبتغى من وراء هذا التقديم، ووضع كل كلمة في مكانها المناسب من الجملة من أهم مقومات البلاغة والبيان، وكثير من الكلمات لو قدَّمتها أو أخَّرتها عن محلها لتغير عليك المعنى الذي تريد ، أو ضاع جماله ورونقه ؛ لأنَّ تقديم اللفظ وتحويله من مكان إلى آخر ، يغير المعنى، وتغيير المعنى بتقديم اللفظ ، وتحويله عن مكانه ، لا يكون جزافاً وعبثاً، وإنَّما يتم على وفق أسس وضوابط ، وأغراض يقصد إليها المتكلم ، فيقدَّم ما يريد التنبيه عليه والالتفات إليه، ويؤخَّر ما لم يرد فيه ذلك، ويتميَّز القرآن الكريم بالدقة في اختيار الكلمة، والدقة في اختيار موضعها، فإذا قدَّم كلمة على أخرى فلحكمة لغوية وبلاغية تليق بالسياق العام، إذاً فلكل كلمة في موضعها من الجملة معنى، متقدمة كانت أو متأخرة، وسنحاول أن نقارب بعض صور هذا اللون من ألوان العدول الرتبي في القرآن الكريم، ومنها:

### - العدول عن تأخير (البصر) وتقديمه على (السمع):

اكتسب تقديم السمع على البصر في القرآن الكريم أو الرؤية أو العلم في شأن الخالق سبحانه وتعالى وشأن المخلوقين، ومنه قوله تعالى: {سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ} (الإسراء/١)، وقوله تعالى: {قُلْ أَرَءَيْتُمْ

إِنۡ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمۡعَكُمۡ وَأَبۡصَٰرَكُمۡ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِهِۦۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ هُمۡ يَصۡدِفُونَ }(الأنعام/٤٦)، هذا في مجال تقديم السمع على البصر، أما ما قدّم فيه السمع على القرب ففي قوله تعالى: {قُلۡ إِن ضَلَلۡتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِيۖ وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٞ ٥٠}(الإسراء/١)، وقد عُدِلَ عن التقديم المطرد للسمع في بعض آي القرآن الكريم لعلة يحملها السياق، من ذلك قوله تعالى: {قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا}(الكهف /٢٦)، فتقدم (البصر) على (السمع) على خلاف المعتاد، لأن الحديث – والله أعلم – يختص بالله تعالى وقدرته على العلم بدقائق الأشياء فيستوي عنده كل شيء، وفي ذلك قال الزمخشري: ((وجاء بما دلَّ على التعجب من إدراكه المسموعات والمبصرات، للدلالة على أنَّ أمره في الإدراك خارج عن حد ما عليه إدراك السامعين والمبصرين لأنه يدرك ألطف الأشياء وأصغرها، كما يدرك أكبرها حجماً وأكثفها جرماً ويدرك البواطن كما يدرك الظواهر))[٣٧]، ويعدل عن تقديم السمع أيضاً في سياق آخر، إذ يتقدم البصر على السمع في قوله تعالى{قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا } (الكهف/٢٦) وقوله تعالى: {وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ}(السجدة/١٢)، والمعلوم أن الأكثر في القرآن تقديم السمع على البصر لأنَّ السمع أهم من البصر في التكليف والتبليغ لأنَّ فاقد البصر الذي يسمع يمكن تبليغه أما فاقد السمع فيصعب تبليغه ثم إن مدى السمع أقل من مدى البصر فمن نسمعه يكون عادة أقرب ممن نراه، بالإضافة إلى أن السمع ينشأ في الإنسان قبل البصر في التكوين، أما لماذا قدّم البصر على السمع في الآيتين المذكورتين فالسبب يعود إلى أنه في آية سورة الكهف كان الكلام عن أصحاب الكهف الذين فروا من قومهم ولجأوا إلى ظلمة الكهف لئلا يراهم أحد، لكن الله تعالى يراهم في تقلبهم في ظلمة الكهف، وكذلك طلبوا من صاحبهم أن يتلطف حتى لا يراه القوم، إذاً مسألة البصر هنا أهم من السمع فاقتضى تقديم البصر على السمع في الآية، وكذلك في آية سورة السجدة، الكلام عن المجرمين الذين كانوا في الدنيا يسمعون عن القيامة وأحوالها ولا يبصرون، لكن ما يسمعوه كان يدخل في مجال الشك والظنّ ولو تيقنوا لآمنوا، أما في الآخرة فقد أبصروا ما كانوا يسمعون عنه لأنهم أصبحوا في مجال اليقين وهو ميدان البصر (عين اليقين) والآخرة ميدان الرؤية وليس ميدان السمع وكما يقال ليس الخبر كالمعاينة، فعندما رأوا في الآخرة ما كانوا يسمعونه ويشكون فيه تغير الحال؛ لذا اقتضى تقديم البصر على السمع[٣٨].

- **العدول في ترتيب ما تشابه من الكلمات:**

تتشابه بعض آيات القرآن الكريم من حيث الكلمات، ولكنَّها تختلف في ترتيب كلماتها تبعاً للسياق، فقد نجد كلمة قدّمت في آية وأُخرّت في آية أخرى لسر بلاغي أودعه الله تعالى في السياق، من ذلك قوله تعالى:{وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ}(البقرة/٥٨) ، وقوله تعالى: {وَإِذۡ قِيلَ لَهُمُ ٱسۡكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ وَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ وَقُولُواْ حِطَّةٞ

وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطِيٓـَٰتِكُمۡۚ سَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ} (الأعراف/١٦١)، نلاحظ أنَّ في الآية الأولى (وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ)، وفي الآية الثانية (وَقُولُواْ حِطَّةٞ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا)، نلاحظ تقديم الأمر بالقول على الأمر بالدخول سجوداً، وقد نبه الزمخشري على عدم التناقض في ذلك فقال: ((لا بأس باختلاف العبارتين إذا لم يكن هناك تناقض، ولاتناقض بين قوله (ٱسۡكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ وَكُلُواْ مِنۡهَا) وبين قوله (فَكُلُواْ) لأنَّهم إذا سكنوا القرية فتسببت سكناهم للأكل منها، وسواء قدَّموا (الحطة) على دخول الباب أو أخروها فهم جامعون في الايجاد بينهم، وترك الرغد لا يناقض اثباته))[٣٩].

الملاحظ أنَّ اختلاف السياق أدَّى إلى اختلاف الدلالة، ومن ثمَّ تولدت معانٍ بلاغية جديدة، فقد قدم قوله (وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا)، على قوله: (وَقُولُواْ حِطَّةٞ) في سورة البقرة، وأخَّرها في سورة الأعراف لأنَّ السابق في هذه السورة (وَٱدۡخُلُواْ) فبيَّن كيفية الدخول[٤٠]، أي أنَّ الآية في سورة البقرة كانت بداياتها بالفعل (ٱدۡخُلُواْ) فاحتُمِل أن يسأل عن كيفية الدخول فجاء الجواب: (ٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا)، لتوضيح كيفية هذا الدخول؛ وهذا ما استوجب تقديم الجملة على جملة: (قُولُواْ حِطَّةٞ) وهو ما يُعضّده سياق الآية في الخطاب المباشر وبصيغة المبني المعلوم: (قُلۡنَا ٱدۡخُلُوا)، ولم تكن الصيغة (قُلۡنَا لَهُم ٱدۡخُلُواْ)، أمَّا السياق في سورة الأعراف فكان بصيغة المبني للمجهول (قِيلَ لَهُمُ) والحديث عن قضية قد فرغ منها وحصل الدخول منهم؛ فجاء الأمر بأن يسكنوا القرية لذلك قدَّم (قُولُواْ حِطَّةٞ)؛ لأنَّ العناية هنا تستوجب تقديمها؛ لأنَّها الكلمة التي استحقوا عليها أن يغفر لهم خطاياهم – والله أعلم – .

- **تقديم (القتل) على (الموت):**

يقدَّم القرآن الكريم الألفاظ ويؤخرها بحسب ما يقتضيه المقام والسياق تبعاً للمعنى المقتضي للتقديم، ففي قوله تعالى: {وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ وَلَئِن مُّتُّمۡ أَوۡ قُتِلۡتُمۡ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحۡشَرُونَ}(آل عمران/ ١٥٧–١٥٨)، قدَّم القتل على الموت في الآية الأولى، لأنَّ الحديث فيها عن الجهاد في سبيل الله، فقدَّم القتل (أي: الشهادة) على (الموت)، فالشهيد يسقط في المعركة، ومايناسبه هو (القتل) وهو أعظم من المجاهد الذي يموت حتف أنفه، وإن كان كل منهما ينال مغفرة الله ورحمته لذا ختم الآية بقوله:( لَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحۡمَةٌ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ) وهي خاتمة طيبة، أما في الآية الثانية: فقد قدَّم الموت على القتل، لأنَّ الحديث فيها عن القتل والموت في الظروف والحالات الطبيعية، وليس المقام مقام جهاد في سبيل الله سبحانه وتعالى، لذا ختم الآية بقوله: (لَإِلَى ٱللَّهِ تُحۡشَرُونَ) فالميت والمقتول كلاهما يحشر إلى الله تعالى، لكن شتان ما بين الخاتمتين[٤١].

- **العدول بين الضمائر:**

يقدَّم القرآن الكريم الضمائر ويؤخرها بحسب ما يقتضيه المقام والسياق، فمنه قوله تعالى: {قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ}(الأنعام/١٥١) ، وقوله تعالى:{وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـٔٗا كَبِيرٗا} (الإسراء/٣١)؛ ففي الآية الأولى قال: (نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡ)، أما في الثانية فقال: (نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ

**وَإِيَّاكُمْ)** وهذا عدول واضح في ترتيب الضمائر بحسب السياق ففي الآية الأولى خطاب للفقراء الذين يعيشون حالياً في فقر شديد، ويقتلون أولادهم، لأنَّهم لا يجدون ما يأكلون، فضلاً عن أن يطعموا أولادهم، فقدَّم رزق الآباء في الآية الأولى على رزق الأبناء، أما في الآية الثانية التي كانت خطاباً للأغنياء الذين يعيشون عيشاً رغيداً، لكنهم يخشون أن يأتي يوم يصابون فيه بالفقر، أو يخشون أن تجعلهم كثرة الأولاد يرثون القليل من الأموال، ومن ثمَّ يؤثر ذلك على اسعادهم، والخشية إنَّما تكون مما لم يقع، لذا فهم يقدمون على قتل أولادهم، فكان رزق أولادهم هو المطلوب من دون رزقهم الحاصل، فكان هو الأهم فقدَّم الوعد برزق أولادهم على الوعد برزقهم[٤٢]، ليكون أمنع لهم في ارتكاب جريمة القتل ((وكأنَّ السياق يُشعِر بتشفيع الأولاد في رفع فقر الآباء القاتلين، فكأنَّه قد قيل لهم: إنما تُرزقون بهم، فلا تقتلوهم، فتأكَدَ تقديم، ضمير الآباء لهذا الغرض))[٤٣]، وقد أشار ابن عاشور إلى نكتة لطيفة في تقديم الضمير العائد على الآباء، على الضمير العائد على الأولاد لأنَّ الفقر ربَّما كان قد أصاب الآباء قبل أن يولد الأبناء، فلماذا يُقتلون، فقال : ((وقدَّم رزق الآباء للإشارة إلى أنَّه كما رزق الآباء فلم يموتوا جوعاً، كذلك رزق الأبناء، على أنَّ الفقر إنَّما اعترى الآباء فلم يقتل لأجله الأبناء))[٤٤].

**– تقديم (الأموال والأنفس) على (في سبيل الله):**

ورد تقديم (الأموال والأنفس) في قوله تعالى: {**إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ**} (الأنفال/٧٢)، **وأخرت في قوله تعالى:** {**ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ**} (التوبة/٢٠) وبلحاظ السياق في سورة الأنفال نجد الآية كانت في مدح المؤمنين الذين وقع منهم ((الإيمان والهجرة والجهاد بالأموال والأنفس، وتغبيطهم بما منَّ الله عليهم به من ذلك، وتفخيم فعلهم الموجب لموالاة بعضهم بعضاً))[٤٥]، فقد ساوت الآية الكريمة بين المهاجرين والأنصار وجعلتهم في مكانة واحدة، من حيث نصرة الدين بالنفس والمال، مع كون الإنسان حريص على حياته وماله لا سيَّما في وقت الحاجة والضنك، وعلى الرغم من ذلك فلم يمنعهم من بذلهما، بل وإيثار الدين عليهما، ولا شك أنَّ فضل المهاجرين يعلو فضل الأنصار، فهم السباقون إلى الإسلام، فضلاً عن تكبدهم مفارقة الوطن، لكن الأنصار قدَّموا لهم المأوى ونصروهم وآخوهم[٤٦]، وأما في سورة التوبة، فليس الأمر كذلك، فقد جاءت رداً على من ساوى بين سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام، وبين الإيمان والهجرة والجهاد في سبيل الله، فقال تعالى: {**أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسۡتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ**} (التوبة/١٩)، وذلك ((كما توهم بعض المسلمين، وكما يزعم كبراء مشركي قريش، الذين كانوا يتبجحون يستكبرون على الناس به))[٤٧]، إذ ظنوا أنَّ القيام بشعائر المسجد الحرام، مساوٍ لأعمال الهجرة والجهاد[٤٨].

- **تقديم وتأخير (ٱلْإِنسُ) و(ٱلْجِنُّ):**

قَدَّمَ (ٱلْإِنسُ) على (ٱلْجِنُّ) في قوله تعالى: {**قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا** }(الإسراء/٨٨)، وقَدَّمَ (ٱلْجِنُّ) على (ٱلْإِنسُ) في قوله تعالى:{**يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُواْ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُواْ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ** }(الرحمن / ٣٣)، فبلحاظ السياق القرآني نجد أنَّه قد قَدَّمَ (ٱلْإِنسُ) في الآية الأولى لأنَّ مضمونها هو التحدي بالإتيان بمثل القرآن، ولاريب أنَّ التحدي يدور حول نظم القرآن الكريم وبلاغته وحسن بيانه وفصاحته، و(ٱلْإِنسُ) في هذا المجال هم المقدمون، فهم أصحاب الفصاحة والبلاغة والبيان، أما في الآية الثانية قَدَّمَ (ٱلْجِنُّ)لأنَّ السياق القرآني فيها هو عن النفاذ من أقطار السماوات والأرض، ولاشك أنَّ هذا هو ميدان (ٱلْجِنُّ)، فهم الأقدر على ذلك لما يمتلكون من سرعة في التنقل والحركة، فالنفاذ يتناسب وخواصهم وماهية أجسامهم[٤٩].

بناء على ما سبق يمكن القول: إنَّ العدول تقنية يخرج بها الكلام عن المألوف في الاستعمال في ترتيب تراكيبه وصياغة صوره، خروجاً ابداعياً مقصوداً، يهدف إلى إعادة بناء الجملة عبر هدمها، وينشد المفاجأة ولفت الأنظار بوساطة الخلق الجديد وترك المألوف، وهو بذلك ليس سوى مجموعة من المبادئ والقيم الجمالية التي يسعى إليها كل مبدع في خطابه الأدبي لإكسابه التميز والتفرد، ويبتعد به عن الأنماط المعيارية المألوفة التي تسود في النصوص الأخرى[٥٠]، فهو بذلك يمثل خروجاً عن سلطة تلك المعايير فهو ((آلية الخروج عن سلطة اللغة وتكرار تمظهراتها والدخول في مملكة حرية الكلام وابداعيته، انَّه انتقال الخطاب من جماعية اللسان وبلادة الأساليب إلى فردانية فعل التكلم، وحيوية الأسلوب، وهو امتلاك النص لسلطته في مقابل هيمنة المرجع، وهو انتقال بلغة الشعر إلى حيِّز الدهشة والمفاجأة التي عبر عنها النقد العربي القديم مبكراً بمصطلحات الشجاعة، العدول، الالتفات، الأعجاز، الإقدام على الكلام))[٥١].

## الخاتمة

من أهم النتائج التي توصل إليها البحث الآتي:

١. إنَّ العدول في ترتيب التركيب القرآني، ليس الغرض منه غرضاً جمالياً شكلياً فقط، بل أنَّ الغرض منه بيان قصدية السماء بصورة دقيقة، فقد يعمد الشاعر إلى أسلوب العدول في ترتيب الجملة العربية عبر تفكيك هذه الجملة ومن ثَمَّ إعادة تركيبها بنحو جديد يضمن له تعبيراً أدق عمَّا يجول في خاطرة من معانٍ وأفكار وصور، ويضمن له حرية الكلام إذ يتحرر به من سلطة اللغة ومعياريتها السائدة، ويضمن بذلك التفرد عن جماعية اللغة، وربما يقع بذلك تحت سلطة أخرى هي سلطة الوزن والقافية، فيظل يسايرهما مبتعداً عن دقة المعنى الذي ينشده، الأمر الذي لا ينطبق على النص المقدس فقد حافظ على أعلى درجات الإبانة والبلاغة، فضلاً عن تفرده بمستوى فني إبداعي جمالي في تشكيله اللغوي.

٢. مثل العدول في النص المقدس أعلى درجات الاستثمار للقوة الكامنة في الأنماط الترتيبية المتعددة للألفاظ العربية، فضلاً عن المرونة بترتيب الألفاظ في التركيب؛ فمن يملك ناصية هذا الترتيب يملك ناصية اللغة بأجمعها، ومن ثَمَّ يصل إلى مبتغاه في بيان قصده بأدق صورة، وبذلك لا يكون النظم القرآني خروجاً على أساليب اللغة، بل هو أعلى درجات التمثل لهذه الأساليب.

٣. تمثل ظاهرة العدول الترتيبي في القرآن الكريم تحرراً من كل قيد أوجده الاستعمال، بمعنى أنَّ القرآن قد نزل باللغة العربية التي لم تشبها شوائب استعمال متكلميها، لذلك مثَّل نوعاً أدبيَّاً ثالثاً قائماً بنفسه.

٤. إنَّ كلَّ لفظة في التعبير القرآني جاءت مقصودة لذاتها، ووضعت موضعها الذي وضعت فيه من أجل أن تؤدِّي معنى مقصوداً لا يمكن أن تؤديه لفظة أخرى، هذا المعنى كذلك لا يمكن لهذه اللفظة أن تؤديه إذا تغير موضعها الذي قدّمت ووضعت فيه.

## الهوامش

(١) ينظر: الاعجاز الصرفي في القرآن الكريم، عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي: ١٤١ .

(٢) البيان في روائع القرآن، د. تمام حسان: ٣٤٧.

(٣) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي: ٣٨/٢ مادة (عدل).

(٤) المصدر نفسه: ٣٩/٢ مادة (عدل) .

(٥) مقاييس اللغة: ٤/ ٢٤٧ مادة (عدل).

(٦) لسان العرب، ابن منظور: ٤٣٠/١١ مادة (عدل).

(٧) المصدر نفسه: ٤٣٣/١١ مادة (عدل).

(٨) البيان في روائع القرآن: ٣٤٧.

(٩) الخصائص: ٤٤٢/٢ .

(١٠) المصدر نفسه: ٤٤٦/٢ .

(١١) الفروق اللغوية: ٢٢١ .

(١٢) دلائل الإعجاز: ٦٢ .

(١٣) البيان في روائع القرآن: ٣٤٧ .

(١٤) الأصول دراسة ابستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب: ١٣٤.

(١٥) الأسلوب والأسلوبية، د.عبد السلام المسدي: ٨٢ .

(١٦) العدول في شعر عنترة –دراسة أسلوبية– (رسالة ماجستير)، عمار جابر عبد الرحيم: ١٠ .

(١٧) تحولات البنية في البلاغة العربية: أسامة البحيري: ٣٥٦ .

(١٨) نظرية البنائية في النقد الأدبي: ٣٧٥ .

(١٩) الكتاب: ٣٤/١ .

(٢٠) دلائل الإعجاز: ١٠ .

(٢١) ينظر: الامتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي: ١٢١/١ .

(٢٢) ينظر: ملحة الإعراب في نخبة من سور الكتاب: محمد جعفر الكرباسي: ١٦ .

(٢٣) شرح ابن عقيل: ١/ ٢٢٧ .

(٢٤) الانصاف في مسائل الخلاف، أبو البركات بن الأنباري: ٤٦/١ .

(٢٥) ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي: ٤٠/٢ .

(٢٦) ينظر: توضيح شرح قطر الندى، عبد الكريم الدبان: ٣٧ .

(٢٧) ينظر: شرح ابن عقيل: ٢٤٠/١ .

(٢٨) دلائل الإعجاز: ١١١ .

(٢٩) ينظر: الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية: د.مجيد ناجي: ١١٤ .

(٣٠) ينظر: المصدر نفسه .

([٣١]) مجمع البيان: ١٩١/١٠ .

([٣٢]) ينظر: التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم: د.عبد العظيم المطعني: ١٩/٢ .

([٣٣]) ينظر: الكشاف: ٥٤٤/٢ .

([٣٤]) ينظر: مجمع البيان: ٢٤٨/٩ .

([٣٥]) ينظر: الكشاف: ٢٣٦/٢ .

([٣٦]) ينظر: التقديم والتأخير في القرآن: د.حميد أحمد عيسى العامري: ١٢٧ .

([٣٧]) ينظر: الكشاف: ٦٨٨/٢ .

([٣٨]) ينظر: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، د. فاضل السامرائي: ٤٣ .

([٣٩]) الكشاف: ١٧٠/٢ .

([٤٠]) ينظر: البرهان في متشابه القرآن: ١١٠ .

([٤١]) ينظر: تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي: ١٠٣/٣ ، واعجاز القرآن البياني، د.صلاح عبد الفتاح الخالدي: ٢٦٩ .

([٤٢]) ينظر: التقييد بالمفعولات في القرآن الكريم، د.ياسين عبد الله نصيف: ٧٣ .

([٤٣]) ملاك التأويل، أبو جعفر الغرناطي: ١٧٣/١ .

([٤٤]) التحرير والتنوير: ١٥٩/٨.

([٤٥]) ملاك التأويل: ٥٨١/١ .

([٤٦]) ينظر: التحرير والتنوير: ٨٤/١٠ .

([٤٧]) ينظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا: ٢١٨/١٠ .

([٤٨]) ينظر: التحرير والتنوير: ١٤٢/٨.

([٤٩]) ينظر: التقديم والتأخير في النظم القرآني الكريم بلاغته ودلالته، سامي عطا حسن، مجلة دراسات ، علوم الشريعة والقانون،مج:٣٧، ع:٢، سنة: ٢٠١٠ : ٤٣١ .

([٥٠]) ينظر: الانزياح التركيبي في النص القرآني، د.عبد الله خضر حمد: ١٦ .

([٥١]) نظرية الانزياح من شجاعة العربية إلى الوظيفة الشعرية، د.فتحية كحلوش، مجلة العلوم الانسانية – جامعة فرحات عباس – سطيف – الجزائر، السنة السابعة، ع: ٤٣ ، ٢٠٠٩ : ١٩.

## المصادر


١. **القرآن الكريم.**

٢. الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية، د.مجيد ناجي، ط٢، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٩٨٤م.

٣. الأسلوبية والأسلوب، د.عبد السلام المسدي، دار سعاد الصباح، ط٤، الكويت، ١٩٩٣م.

٤. الأصول ( دراسة ابستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب )، د.تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة – مصر ، ٢٠٠٠ .

٥. الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم دراسة نظرية تطبيقية التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة، د.عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي، المكتبة العصرية، ط١، بيروت – لبنان، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م .

٦. الامتاع والمؤانسة، أبو حيان التوحيدي، المكتبة العصرية، بيروت – لبنان، ٢٠٠٤م .

٧. الانزياح التركيبي في النص القرآني دراسة أسلوبية، د.عبد الله خضر حمد، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، ط١، الأردن، ٢٠١٣م.

٨. الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين، لأبي البركات الأنباري (ت٥٧٧هـ)، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة الخانجي، ط٢، القاهرة – مصر، ١٩٨٨م.

٩. البحر المحيط، أثير الدين أبو عبد الله محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي(ت٧٤٥هـ)، تح: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت – لبنان، ١٩٩٣م.

١٠. البرهان في علوم القرآن، محمد بن عبد الله الزركشي (ت٧٩٤هـ)، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرف، ط٢، بيروت – لبنان، ١٣٩١هـ – ١٩٧٢م.

١١. البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، د.تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة – مصر، ١٩٩٣م .

١٢. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، (د.ط)، تونس، ١٩٨٤م .

١٣. تحولات البنية في البلاغة العربية، أسامة البحيري، دار الحضارة للطبع والنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م .

١٤. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة – مصر، ١٩٩٠م .

١٥. التعبير القرآني، د.فاضل صالح السامرائي، ط٤، دار عمار، عمان – الأردن، ٢٠٠٦م.

١٦. التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم: د.عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة، القاهرة – مصر، ٢٠١١م .

١٧. التقديم والتأخير في القرآن الكريم، حميد احمد عيسى العامري، دار الشؤون الثقافية العامة، ط١، بغداد – العراق، ١٩٩٦م.

١٨. التقديم والتأخير في النظم القرآني الكريم بلاغته ودلالته، سامي عطا حسن، مجلة دراسات ، علوم الشريعة والقانون،مج:٣٧، ع:٢، سنة: ٢٠١٠ .
١٩. التقييد بالمفعولات في القرآن الكريم، د.ياسين عبد الله نصيف، دار الكتب والوثائق العراقية، بغداد – العراق ، ٢٠٠٥م .
٢٠. توضيح شرح قطر الندى، عبد الكريم الدبان التكريتي ، تح: د. عبد الحكيم الأنيس ، دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري ، ط ٢ ، دبي ، ٢٠١٢ م .
٢١. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ)، تح: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط) القاهرة – مصر، ١٩٩٩م .
٢٢. دلائل الإعجاز، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني النحوي (ت٤٧١هـ)، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، ط٣، القاهرة – مصر،١٩٩٢م.
٢٣. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل (ت٧٦٨هـ) ومعه كتاب منة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل ، لمحمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، ط١ ، القاهرة – مصر ، ١٩٨٠م .
٢٤. الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تح: محمد ابراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة – مصر ، (د.ت).
٢٥. كتاب سيبويه، أبو بشر عَمرو بن عثمان بن قنبر (ت١٨٠هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، ط٢، القاهرة – مصر ، ١٩٨٢م.
٢٦. كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ) ، تح: الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي، دار الرشيد للنشر، وزارة الثقافة والإعلام، ط١، بغداد – العراق ، ١٩٨٢م .
٢٧. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨هـ)، اعتنى به وخرج أحاديثه وعلق عليه: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، ط١، بيروت، لبنان، ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م.
٢٨. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي (ت٧١١هـ) ، دار صادر، ط٣، بيروت – لبنان، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.
٢٩. لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، د.فاضل صالح السامرائي، دار عمار، ط١، عمان – الأردن، ١٩٩٩م.
٣٠. مجاز القرآن، أبو عبيدة محمد بن المثنى التيمي (ت ٢١٠هـ) ، عارضه بأصوله وعلق عليه: د. محمد فؤاد سزكين، نشر : محمد سامي أمين الخانجي الكتبي ، ط١، القاهرة – مصر ، ج١، ١٣٧٤هـ-١٩٥٤م ، ج٢، ١٣٨١هـ- ١٩٦٢م .

٣١. مجمع البيان في تفسير القرآن، الإمام الشيخ أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي (ت٥٤٨هـ) ، وضع حواشيه وخرج آياته وشواهده : إبراهيم شمس الدين ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
٣٢. مفاتيح الغيب، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التميمي البكري فخر الدين الرازي (ت٦٠٦ هـ)، دار الفكر، ط١، بيروت – لبنان ، ١٩٨١م .
٣٣. مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ) ، اعتنى به: د.محمد عوض مرعي، دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت – لبنان ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م .
٣٤. ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي العاصمي الغرناطي، تح: سعيد الفلاح، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٩٧١م .
٣٥. ملحة الإعراب في نخبة من سور الكتاب، محمد جعفر الكرباسي، مطبعة الآداب، النجف الأشرف – العراق، ١٩٩٠م .
٣٦. نظرية الانزياح من شجاعة العربية إلى الوظيفة الشعرية، د.فتحية كحلوش، مجلة العلوم الانسانية – جامعة فرحات عباس – سطيف – الجزائر، السنة السابعة، ع: ٤٣ ، ٢٠٠٩م.
٣٧. نظرية البنائية في النقد الأدبي، د.صلاح فضل، دار الشروق، ط١، القاهرة – مصر، ١٩٩٨م .